EISSN 2588-2333 ﴿التـواصل الأدبي﴾ ISSN 1112-7597
العدد التسلسلي: 23 - جوان 2024 المجلد: 13/ العدد: 02

مدونة الإمتاع والمؤانسة: دراسة سرديَّة أسلوبيَّة

Al-Imtae wa el-Mouanassa
A Stylistic Narrative Study

الدُّكتور إبراهيم أبو حمَّاد

جامعة صفاقس بتونس

IbrahimaboHammad@Yahoo.com

تاريخ الإرسال: 05-03-2024 تاريخ القبول: 19-05-2024 تاريخ النّشر: 30-06-2024

الملخّص:

تناقش هذه الدِّراسة مدونة الإمتاع والمؤانسة: دراسة سرديَّة أسلوبيَّة، إذ تتناول الخطاب السَّردي والنَّصي للمدونة، وبعضًا من الظواهر الأسلوبيَّة، التي وردت فيها، بتوظيف المنهج السَّردي والأسلوبيّ، وبالنتيجة توصلت الدِّراسة إلى عناصر الخطاب السَّردي، وتحليل تفاعلات نصِّية السَّرد، وبيان أهم الظواهر الأسلوبيَّة في شواهد من المدونة.

كلمات مفتاحيَّة: الأسلوبيَّة، السَّرد، الخطاب السَّردي، تحليل النَّصِّ السَّردي.

Abstract:

This study discusses the text of Kitab al-imtāwa al-muʾānasah: a stylistic narrative study, as it deals with the narrative and textual discourse of the text, and the stylistic phenomena contained in it according to the narrative analytical approach, and as a result the study reached the elements of narrative discourse, an analysis of the interactions of the narrative text, and a statement of the most important stylistic phenomena in evidence from the text.

Keywords : Stylistic, narrative, narrative discourse, narrative text analysis.

المقدِّمة:

تتناول هذه الدراسة مدونة الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي من خلال دراسة سردية أسلوبية، إذ إن السرد اتصال بين باث سارد، ومتلقٍ مسرود له، متضمنٌ النص المسرود للحكي في سياق ثقافي، ولهذه السردية مميزات أسلوبية تبرز أسلوب السارد وذاتيته في السرد والطرح والإخبار للحدث والحكي عن الفاعل، وبذلك فإن الذاتية تتصور في النص المسرود مؤطرًا موضوعيًا في اللغة العليا الثقافية زمانيًا ومكانيًا، ولما كانت المدونة تنتمي إلى القرن الرابع الهجري، والسارد ينتمي إلى المدرسة الجاحظ المعتزلية، فإن هذه الدراسة تناقش هذه الذاتية أسلوبيًا وسرديًا، وتسألها للوقوف على حقيقتها، وشعرية خطاب التوحيدي في المدونة.

تكمن أهمية هذه الدراسة أنها تبحث في جوهر السرد والأسلوب من مقولة "الأسلوب هو الرجل"؛ لبيان توجهات أبي حيان التوحيدي بأسلوبه الخاص الذاتي، وسرده الحكائي. وعليه فإن الدراسة تطبيقية على شواهد من المدونة.

مشكلة البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى فحص ماهية الأسلوبية والسردية في مدونة أبي حيان التوحيدي، وعليه فإن البحث يسعى إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين:

ما المميزات الأسلوبية الواردة في متن مدونة "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي؟

ما العناصر السردية في المدونة محل الدراسة؟

حدود الدِّراسة:

تنطوي حدود هذه الدراسة في مبحثيْن محددين:

زمكانيًا: تناقش الدراسة ليالي الإمتاع والمؤانسة في زمن السرد والتلقي في إطار مكاني محدد بالمجلس.

موضوعيًا: يتحدد الإطار الموضوعي في المدونة السردية، وخاصة الليلة الأولى نظرًا لتصدرها المدونة، وعدم دراستها من المشتغلين في المدونة.

منهج الدِّراسة:

تتمثل منهجية الدراسة بالمنهج السردي والأسلوبي وفقًا لمنهجية جيرار جينيت.

الدِّراسات السَّابقة:

ناقشت دراسة سابقة حدود هذه الدراسة التي موضوعها مدونة الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي وهي الدراسة الأولى أدناه، إلا أنه من الجدير بالذكر بأن هذه الدراسة تقاطعت مع عدد من الدراسات، التي تشكل روافد لها وهي الآتي:

ميساء سليمان إبراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة السورية العامة للكتاب، وزارة الثقافة السورية 2011، وتختلف هذه الدراسة أنها تناقش وضعية السارد والرؤية، وزيادة على ذلك تناقش أسلوبية السرد.

جميل الحمداوي، أسلوبية الرواية: مقاربة أسلوبية لرواية "جبل العلم" لأحمد المخلوفي، وتختلف هذه الدراسة بمناقشة الأسلوبية من جهة التوازي التركيبي والرؤية السردية.

مصطلحات الدِّراسة:

الأسلوبية: نظرية لدراسة النص الأدبي وبيان خصائصه ومميزاته سواء التعبيرية أم البنيوية أم الأدبية بطريقة فنية.

السردية: المنهج الذي يهتم بالبنية السردية للفعل والحدث في النص السردي، في فضاء زماني مكاني.

صيغة الخطاب: إن صيغ الخطاب تتعلق بالطريقة التي يقدم بها الراوي القصة أو يعرضها، إذ إن الكاتب يعرض (montrer) لنا الأشياء أو أن آخر يقولها (dire)، فالصيغتان الأساسيتان هما: العرض (Representation) والسرد (Narration)[1]، فالصيغة هي تقديم العرض من المشهد والوصف، والحكي السردي للإخبار السردي ودرجاته والمثل والرسالة وغيرها التي توجهها المسافة، والمنظور لهذاالتنظيم الإخباري، وتجدر الإشارة إلى أن عناصر المصطلح تقترب من علم الحديث النبوي الشريف.

الخطاب السردي: نظرية تتضمن البنى الكلية للنص السردي من صيغة وزمان ومكان ورؤية سردية.

تحليل النص السردي: دراسة النص السردي في إطار علم النص والخطاب.

خطة الدِّراسة:

المطلب الأول: الصيغة والسرد

المطلب الثاني: الرؤية السردية

المطلب الثالث: الزمن والإيقاع السردي

المطلب الرابع: تجليات النص من مدونة الإمتاع والمؤانسة.

المطلب الخامس: الأسلوبية في شواهد من مدونة الإمتاع والمؤانسة.

تمهيد:

تتضمن البهجة السردية والأسلوبية كسرًا لرتابة السرد وأحادية الصوت، ومن ثم فإن النظرية السردية والأسلوبية تسعيان إلى معالجة ذلك بتشريح الأعمال الإبداعية السردية، ولذا فإن إزاحة الملل عن كاهل المتلقي المسرود له يتجه نحو عدد من الظواهر السردية والأسلوبية التي تعالجها هذه الدراسة في المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: الصِّيغة والسَّرد:

ينبني تحليل الخطاب الروائي على تحليل الجملة بعناصرها من الزمن، الجهة، الصيغة (Temps/Aspect/Mode)؛ ولذا فإن صيغ الخطاب تتعلق بالطريقة التي يقدم لنا بها الراوي القصة أو يعرضها، إذ إن الكاتب يعرض (montrer) لنا الأشياء أو أن آخر يقولها (dire)، فالصيغتان الأساسيتان هما: العرض (Representation) والسرد (Narration)، فالصيغة هي تقديم العرض من المشهد والوصف، والحكي السردي للإخبار السردي ودرجاته والمثل والرسالة وغيرها التي توجهها المسافة والمنظور لهذا التنظيم؛ فالمسافة هي ما بين فعل الحكي وموضوعه[2]، والمنظور هو التبئير لدى جينيت (G. Genette)، الذي سنتحدث عنه لاحقًا في الرؤية السردية، ولذا فإن كان المبنى الحكائي يتناول الزمن السردي، فإن المتن الحكائي يتصل بمجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، التي تقدم سردًا، أوعرضًا خلال العمل[3].

يتصل السرد في مدونة الإمتاع والمؤانسة بالتضمن لتعلقه بحكايات تتوالد من الحكاية الإطار، التي تتشكل من دوافع تأليف المدونة، وتنسج منه مطارحات ومسامرات على مدى أربعين ليلة، فُقد منها ليلتان، متحررًا من الإسناد في السرد إلى المتلقي الأول أبي الوفاء المهندس، والمتلقي أو المسرود له الثاني الذي يسرد له بضمير الغائب الذي يمثل الوزير، إذ يقول: (فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس...)[4]. ويتجه التوحيدي إلى الحديث والحوار أكثر من النزعة الذاتية والتأملية، ولذا يستشهد بأقوال وأخبار وحكايات لتشكيل رؤيته الإبداعية، ويسرد أخبار الخلفاء والوزراء والطامعين، ويبدأ بأفعال السرد: حدثني، وقال لي؛ مما ينزه نفسه عن كذب القول وذكر السند، فيكون التوحيدي السارد الأول، وصاحب الرواية السارد الثاني الذي ينقل الكلام للتوحيدي السارد، واستخدم أبوحيان المثل والحكمة مادة سردية؛ وذلك في الليلتين الثالثة والرابعة وغيرهما، مثل: "أصحب الصديق بلين الجانب"، وأورد قصة بعض الأمثال، ومنها قصة " أحمق من ضبع"[5]. فالسرد والعرض أداتان للبرهان والحجة والتفسير والترفيه والشرح، ويكون العرض في الحوار والمشهد الوصفي الذي يتداخل مع السرد، ويستخدم التوحيدي الحوار في عملية مثاقفة حضارية توازن بين أمور متعارضة لتحقيق وجهة نظر المهمش ضد السلطة المركزية، والبعد عن نزعة المصادرة والاستلاب للأفكار والآراء، وإن فضاء اللغة والمكان في مجلس العلم وليالي الفكر في عملية السرد المولدة لهذه الأخبار والحكايات وفق العقد الكلامي المبرم بين أبي حيان وأبي الوفاء المهندس.

المطلب الثَّاني: الرؤيا السَّرديَّة

إن عملية الخلق السردي لا يمكن أن تأتي رتيبة في مسار محدد، ولا يمكن اختزال المعالجة القصصية بالسرد والعرض، ولذا فلقد تطورت الرؤيا السردية بإسهامات نقدية حديثة للروائي هنري جيمس (Henry James) وبيرسي لوبوك (Percy Lubbock) ونورمان فريدمان (Norman Friedman)[6]، ويتنازع مصطلح الرؤيا إشكالية، تختلف باختلاف الناقد ووعيه النقدي، ولذا يطلق عليه البؤرة، وحصر المجال والمنظور والتبئير ووجهة النظر، ويقصد بها إدراك السارد ووعيه ورؤيته إلى العالم، وبالنتيجة لا يقصد بها حاسة النظر، وإنما سرد الشخص القصصي لمعتقداته وأفكاره تجاه الأشياء أو فهمه المتفاعل وحدود علمه ومدى تداخل السارد تجاهها.

وزيادة على ذلك فالرؤيا مرتبطة بالمقام السردي الذي يعد الوسيط بين الباث والمتلقي بأحد أشكال إرسال القصة بالعرض أو السرد، ولذا قدم شتانزل فكرة الوسيط الراوي الناظم والراصد والمتكلم[7]، وقدم كلّ من وين بوث وتودوروف (Tzvetan Todorov) وأوسبنسكي (Uspensky Boris) تصنيفات أخرى[8]، ثم ميز جيرار جينت (G. Genette) بين الصوت والرؤيا ليبين أن تدخل الكاتب يرتبط بالصوت لا بوجهة النظر، وعليه وضع مصطلح التبئير الصفري والداخلي (الصيغة) والخارجي (الصوت)[9]، ولقد قدمت ميك بال محاولة لإقامة نموذج جديد لنظرية التبئيرات بنقد مشروع جينيت مرتبط بالموضوع المدرك المبأر، وفي إطار لعبة التبئير يقدم فيتو وشلوميت كنعان قراءة أخرى للتبئير ونقدًا لجينيت (G. Genette)[10]، مما يدفع الأخير لرد عليهم.

اختزل جان بويون (Jean Pouillon) في كتابه "الزمن والرواية" ربطًا بين الرواية وعلم النفس، والزمن والرؤيا، لأن الزمن وعي بالحاضر[11]؛ وفيما يتعلق بتعدد وجهات النظر لدى لوبوك وفريدمان فإنها تنقسم على ثلاثة أشكال؛ الرؤية مع والرؤية من الخلف والرؤية من الخارج.

ويتفق سعيد يقطين وجيرار جينيت (G. Genette) بأشكال الرؤى السردية:

رؤية برانية الحكي خارجية= تبئير صفري

رؤية برانية داخلية = التبئير الخارجي

رؤية جوانية داخلية وجوانية ذاتية = التبئير الداخلي[12]. وبذلك يسعى يقطين لخلق جهاز مصطلحي مغاير للمصطلح والمفهوم الغربي.

وفي مدونة الإمتاع والمؤانسة، تشكل البؤرة أبا حيان التوحيدي، والاهتمام بنقطة الاهتمام المركزية في سرد الأحداث والأخبار التي تتضمن حدثًا والحكايات التي تتضمن غير حدث[13] وعرض الأقوال، مرتكزًا على تجربته الشخصية والحكمة التي جناها من تناقضات الحياة، وقد بلغ بادئة الشيخوخة[14]، ويتبين أن للشيخ وهو الشخصية الأخرى في المدونة دورًا، فيمارس عليه أبو حيان التوحيدي سلطة التبئير؛ إذ يُبرزه صوتًا خارجيًا؛ حيث ورد في المدونة: "فكان جوابك لي: افعل. ونعم ما قلت وهو أحب إلي، وأقرب إلى إرادتي ..."[15]. وبذلك فإن أبا حيان التوحيدي يفعل ما طلب منه في السرد بناء على رغبة الشيخ أبي الوفاء[16]، ولا يمارس هذه الهيمنة على الشيخ أبي الوفاء، ولكن على الشخصيات الأخرى مثل الوزير الذي يسرد صوته

خارجيًا؛ فيقول: "قد سألت عنك مرات شيخنا أبا الوفاء... فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس، ولأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة تتردد في نفسي على مر الزمان... فأجبني عن ذلك" أين المرجع؟! . ولذا فالوزير غم عليه أمور تثير إشكاليات مختلفة؛ لأن شخصية الوزير تسعى إلى معرفة الحقيقة وما يرتابها، والدعوة إلى التبيين والوقوف عند الشك، وفي استهلال الكتاب يختفي السارد مخاطبًا متلقيًا متخفيًا، ويصبح السارد في الفقرة الثالثة صريحًا باستخدام ضمير المتكلم والغائب[17]، ويكون التبئير داخليًا في مسافة الصفر، فالتوحيدي يبين حال الوزير فور وصوله المجلس: "بسط وجهه الذي ما اعتراه منذ خلق العبوس؛ ولطف كلامه الذي ما تبدل..."[18]. وهذه الشخصيات تتناقش وتتحاور في سياقات إيدلوجية، مثل القوميات: العربية والفارسية والتركية والصينية. وبذلك فأبو حيان التوحيدي هو الراوي والشخصية والمؤلف، ويحدد كاتبًا بوساطة علاقته بشخصيات المدونة. ويظهر دور الوزير رمزًا للمثقف والسلطة في طرح الأسئلة، وصدور الإجابة عن التوحيدي، وممارسة هذه السلطة لقمع التوحيدي وحجبه وتهميشه اقتصاديًا[19].

أما الشخصيات الأخرى في المدونة، مثل: السيرافي، وابن المقفع، فقد مارس عليهم التوحيدي هذه السلطة، في سياق ثقافي من الموضوعات التي تستحوذ على اهتمام المدونة في الرؤية من العالم في قضايا اللغة والفلسفة والمنطق، وقدم بذلك إجابات قاطعة في هذه المواضيع، وفند آراء المعارضين.

المطلب الثَّالث: الزَّمن والإيقاع السَّرديّ

ميز تودوروف بين زمن القصة والخطاب، فزمن الخطاب متعدد الأبعاد، وزمن القصة خطي[20]، وزمن القراءة (زمن النص) لإدراك ترتيب زمن القصة، وزمن الكتابة النصي أدبي، ويرى جيرار جنيت أن الزمن الحكائي زائف متخيل خارجي، وفي مستوى الخطاب يتحكم به السارد، وعليه ثمة زمن خارجي (خطابي) وزمن داخلي (نصي) لساني[21].

وتتأثر هذه المصطلحات بمفاهيم القصة والحكاية والسرد والخطاب والكتابة والقراءة والنص، وأزمة المصطلح السردي، والتطورات البنيوية من اللسانيات إلى الشعرية والنص والخطاب، فلقد حاكى علم السرد الزمن الصرفي والنحوي، والبنى السطحية المدلول (القصة) والبنى العميقة (السرد).

وعليه فإن الزمن في مدونة الإمتاع والمؤانسة يتشكل مما يلي:

الزمن القصصي:

فالزمن الحقيقي التاريخي يبدأ مع عودة أبي حيان التوحيدي إلى بغداد في عام 370 هـ، بعد تركه صحبة ابن عباد، وتعيينه مراعيًا لأمر البيمارستان، العضدي بتدخل من صديقه أبي الوفاء الذي ألحقه بخدمة الوزير ابن سعدان وراقًا، وأنتج نصه سردًا بذات العام"زمن الكتابة"[22].

الزمن السردي:

إن الزمن السردي يتجه عادة نحو العقدة، ثم ينحو إلى البدايات، وينتقل إلى النهايات، ولذا فإن الايقاع الزمني والحركات السردية تستند بمنظور جيرار جنيت إلى

أربع حركات: الحذف والوقفة والمشهد والمجمل[23]، إذ يستخدم السارد الحذف لإسراع وتيرة السرد سواء الحذف محدد لعام مثلاً أو نهار إذ تُسرد الحكاية ليلاً ومثال ذلك قوله في الليلة العاشرة" ولما عدت في الليلة الأخرى، ونعمت بهذه الفضيلة[24]. وقد يكون الحذف غير محدد، ولا يشير إليه السارد، وهو حذف لساني إلا أنه ضمن المعادلة الزمنية، وفي الوقفة (الاستراحة) فالوقفة تكون وصفية أو تأملية مثل وصف الأشياء أو الأشخاص؛ ومثال ذلك قوله: "وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظمًا دون غيرهما من الحيوان"[25]؛ "بيض الطير فيه لونان: بياض وصفرة"[26]. وأما الخلاصة والمجمل فإنها عملية اختزالية للزمن لسانيًا في كلمة أو صفحات دون التعرض للتفاصيل، وبما يخدم السرد، ومثال ذلك: "كنت وصلت إلى مجلس الوزير، وفزت بالشرف منه، وخدمت دولته"، وأما في المشهد فإن كسر رتابة أحادية السرد تقتضي أن يكون هناك مشاركة في السرد، مثل عملية الحوار، وسرد الأقوال، ومثال ذلك ما ورد في الليلة الحادية والثلاثين التي يرد فيها حديث عن الطامعين: "فقال: أحب أن أسمع في هذا أكثر ما فيه، ويمر بي أعجبه، فإن في معرفة هذا الباب تهذيبًا وإيقاظًا كثيرًا.

فكان من الجواب: إن الناس قديما وحديثا قد خاضوا في هذا الفن خوضا بعيدا ....

قال: قبل كل شيء أعلمونا يا أصحابنا: الحث على الأكل أحسن، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون؟

فكان من الجواب: أن هذه المسألة بعينها جرت بالأمس بالري عند ابن عباد فتنوهب الكلام فيها ..."[27]

وفي السرد الاسترجاعي والاستشرافي المستقبلي أو في الدرجة الصفر إذ يكون السرد في الحاضر، ومثال ذلك قوله: "تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية (الدرجة صفر) فإن الجد قد كدنا (استرجاعي)[28] وفي السرد الاستشرافي يرى جيرار جنيت أن يكون بضمير الأنا، ومثالها الليلة التي يطلب الإمهال للتحضير إلى موضوع الليلة اللاحقة، وأما في التواتر (التكرار) إذ إن المدونة خطاب سردي واحد شفويًا أو كتابيًا، أما على المستوى اللفظي أو الدلالي فقد وردت أحداث تتكرر منها طرفة أو ملحة الوداع في خاتمة الليلة، وكذلك السؤال عن النفس في الليلة الثالثة عشر، والسؤال عن الروح في الليلة الرابعة والعشرين، والسؤال عن النفس في الليلة الخامسة والثلاثين، ولقد ورد التكرار اللفظي في عشرين موضعًا في الليلة الحادية والثلاثين.

المطلب الرَّابع: تحليل شواهد من نصِّ مدونة الإمتاع والمؤانسة

إن الخطاب والنص عند جينيت (G. Genette) وتودوروف (Tzvetan Todorov) يستعملان بالدلالة نفسها[29]، وتطور إلى التمييز بين النص والخطاب، إذ يعد النص والسياق مشكلين للخطاب[30]، ولقد تطورت دراسات النص من اللسانيات والتأويلية إلى الأيدلوجية وعلم الاجتماع الأدبي، ولذا يعرف سعيد يقطين النص بأنه بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنيات ثقافية محددة[31].

وبذلك يتجلى تعريف النص في ثلاثة محاور هي:

- البناء النصي؛ إذ إن النص بنية دلالية تنتجها ذات، وهذه البنية تتجلى في زمن القراءة والكتابة وزمن النص، وقد يكون النص متعلقًا بإنتاج وإدراك القارئ لذات القيم، فيعد مغلقًا أو منتجًا لدلالات جديدة، فيعد منفتحًا.

- التفاعل النصي الذي يعد بنية نصيه منتجة بسبب تفاعلات النص الذاتية والداخلية والخارجية.
- البنيات السوسيو–نصية في إطار بنيات ثقافية محددة[32].

والتفاعل النصي مرادف للتناص أو المتعاليات النصية، إلا أن التناص أحد أنواع التفاعل النصي الذي يشكل عمقًا أكبر للمتعاليات النصية وغير النصية، وتجاوزًا لمفهوم معمار النص الذي يمثل مقولات عامة وأنماط الخطاب وأنواع التلفظات الأدبية؛ لأن كل نص يتعالق مع النصوص الأخرى صراحة أو ضمنًا، وهي الآتي:

- التناص بحضور نص في آخر.
- المناص وذلك في العناوين والمقدمات والذيول والصور وكلمات الناشر.
- الميتانص وهي علامة التعليق الذي يربط نص بآخر، ويتحدث عنه نقدًا أو إبداعًا دون أن يذكره أحيانًا.
- النص اللاحق وهي علامة التحويل والمحاكاة من نص لاحق بنص سابق.
- معمارية النص نمط أكثر تجريدًا وتضمنًا، إنه علاقة صماء تأخذ بعدًا مناصيًا وتتصل بالنوع شعرًا ورواية وبحثًا[33].

ومن أشكال التفاعل النصي:

- التفاعل النصي الذاتي لنصوص الكاتب لغة وأسلوبًا ونوعًا.
- التفاعل النصي الداخلي لنصوص الكاتب ونصوص معاصريه.
- التفاعل النصي الخارجي لنصوص الكاتب مع نصوص غيره البعيدة زمنيًا.

وفي مدونة الإمتاع والمؤانسة، تسرد المدونة تفاعلات تاريخية ودينية مثل إشكالية الخلافة والصراع بين الأمويين والعباسيين، وفي التفاعل النصي الداخلي فإنه يتفاعل مع نصوص الجاحظ وابن المقفع وفي التفاعل الخارجي فإنه يتفاعل مع نصوص أرسطو طاليس[34]، وشعر أبي دلامة الأسدي وجرير، دون الالتجاء إلى المحسنات اللفظية، وفي التفاعل الذاتي فإن التوحيدي يتفاعل مع نصوصه الأخرى مثل المقابسات والصديق والصداقة ومثالب الوزيرين[35].

المطلب الخامس: تجليات الأسلوبيَّة في مدونة الإمتاع والمؤانسة

يرى الدكتور إحسان عباس أن "عبارة التوحيدي قائمة على الازدواج المشوب بالسجع أو السجع وحده في بعض الأحيان. غير أنها في الداخل مؤسسة على ضروب من التفنن اللفظي كالتفريع والتنويع في حروف الجر، والتوليد والاستكثار من الفاتحة الواحدة، بالاستفهام أو التمني أو التعجب"[36].

ويقول الدكتور عفيف بهنسي: "يقوم أسلوب التوحيدي على الازدواج والسجع، وهما من المحسنات البديعية التي طغت على أساليب الأدباء في ذلك العصر، على أن موسيقى الكلمات كانت أشد طنيناً وجرساً عند التوحيدي منه عند الجاحظ، وإن كان يبعدهما عن جدية المعنى، وجلال المقصود أحياناً، على خلاف الأمر عند الجاحظ، ولقد أجاد التوحيدي في تنويع العبارات رغبة منه في استعمال أقصى ما لديه من مخزون الكلمة، كأنه مصور لا تقعده أصناف الألوان عن رصفها في وحدة باهرة، أو هو موسيقي لا يعجز عن توحيد الأنغام والإيقاعات والمطابقات في ملحنة متناسقة"، وقد رأى آدم ميتز أن التوحيدي "أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق"[37].

ويقول الدكتور إبراهيم الكيلاني في تصدير رسائل التوحيدي: "ولعل انكباب التوحيدي على كتب الجاحظ في سن مبكرة، هو الذي قاد تفتَّح ذهنه وإنماء مواهبه الأصيلة التي لا نجدها ماثلة في عناصر أسلوبه العامة فحسب، كالمطابقة بين المعنى والمبنى، والوضوح والصفاء، والدقة والطرافة، والبعد عن التكلف.... بل نجدها في ضروب الصنعة، كاستعمال الازدواج، والمقابلة، والتقسيم، والنفرة من السجع إلا ما جاء عفواً، والتوفر على إيجاد إيقاعات صوتية وموسيقية ناشئة عن نقاء الألفاظ وإحكام بناء الجمل وتوازنها..."[38].

وبالنتيجة فلقد أنصف إبراهيم الكيلاني أسلوب أبي حيان التوحيدي بشكل أكثر موضوعية من آراء إحسان عباس وعفيف بهنسي؛ إذ يقرنه باهتمامه باللفظ على حساب المعنى، وأن السجع قصدي في أسلوبه، بينما يبين الكيلاني بأن السجع جاء عفوًا، وتوافر في نصوصه إيقاع صوتي وموسيقى ناشئة عن نقاء الألفاظ وإحكام بناء الجمل وتوازنها، فمثلاً في الليلة العشرين يقول: "ونظرت إليه وقد دمعت عينه ورق فؤاده وهو -كما تعلم- كثير التأله، شديد التوقّي، يصوم الاثنين والخميس، فإذا كان أول رجب أصبح صائماً إلى أول يومٍ من شوال، وما رأينا وزيراً على هذا الدأب وبهذه العادة، لا منافقاً ولا مخلصاً، وقد قال الله تعالى: "إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً" تولاه الله أحسن الولاية،و كفاه أكمل الكفاية، إنه قريب مجيب"[39].

فالسجع هنا في دمعت عينه، رق فؤاده، أحسن الولاية وأكمل الكفاية وهو سجع عفوي متوازن في الوزن والقافية، إلا أنه جاء عفويًا في الفقرة المقتبسة، ولقد ورد الازدواج في كفاه أكمل الكفاية، إنه قريب مجيب، ولذا فالازدواج تساوي الجمل في

الطول والإيقاع دون سجع، وإن ذلك يضبط إيقاع السرد، ويندرج ذلك في التكرار مثل نظرت وأول وتكرار معنوي أو ترادفات لفظية مثل شديد وكثير، أحسن وأكمل، ويتوافق ذلك مع توازٍ تركيبي نحوي وصرفي في الجمل بأن تكون الجملتان متوازيتين صرفيًا ونحويًا مثل تولاه الله أحسن الولاية وكفاه أكمل الكفاية، مما يعمق دلالة المعنى في نفس المتلقي، ويعزز الإقناع والتأثير.

الخاتمة:

وبالاستقراء لما سبق، فإن الدراسة تخلص إلى أن مدونة الإمتاع والمؤانسة تضمنت بناء سرديًا من جهة الفعل والحدث، في فضاء زماني مكاني في إطار تفاعلات نصية، وتضمن صيغًا ورؤى في السيرورة السردية، وامتاز أسلوب التوحيدي بالإمتاع والأسلوب السردي العلمي.

الهوامش:

1) يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- والتبئير)، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م ط3، ص 172.
2) يقطين، سعيد، المرجع السابق، ص177.
3) يقطين، سعيد، المرجع السابق، ص 167- 207.
4) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية.
5) الإبراهيم، ميساء سليمان، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة السورية العامة للكتاب. وزارة الثقافة السورية، (2011)، ص158-157.

6) بوشوشة ب. ج.(2015). إشكالية مفاهيم النقد الروائي في المغرب العربي. فتوحات، 1(1), 11-49. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/6656 ص 32-34.

7) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص290.

8) يقطين، سعيد. المرجع السابق، 292-294.

9) جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة مُحَمَّد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المركز القومي للترجمة، 1997، ط2، ص 201. وسعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص.297.

10) يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق. ص 11-12.

11) بويون، جان. الزمن والرؤيا، ترجمة بكر عباس، دار صامد، بيروت، 1997م، ص 171

12) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص.309.

13) يقطين، سعيد، السرد العربي: مفاهيم وتجليات، بيروت: الدار العربية للعلوم والناشرون ش.م.ل، 2012م. ص153-156.

14) التوحيدي، مرجع سبق ذكره ص2

15) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية. (الهنداوي) (1:29).

16) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المرجع السابق ص 8

17) العجمي، مرسل فالح صالح، الإمتاع والمؤانسة بلاغة السرد والتأويل. مجلة رسالة المشرق: جامعة القاهرة–مركز الدراسات الشرقية، مج 12، ع1،4، (2003) 349-400. ص 382.

18) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص 37.

19) القرني، سعيد بنعبد الله بنعبد الله،التنازع بين الكاتب والسارد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي. مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية: جامعة بيشة، ع6، (2020)، 213 - 247. ص 218.

20) يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ط2، ص 47.

21) جيرار جينيت، ص 46.

22) التوحيدي، ص 9.

23) جيرار جنيت، ص 108.

24) التوحيدي مرجع سبق ذكره 1: 159.

25) التوحيدي مرجع سبق ذكره ص 170.

26) التوحيدي المرجع السابق 1: 169.

27) التوحيدي ص 401.

28) التوحيدي ص 261.

29) يقطين النص مرجع سبق ذكره ص 10.

30) المرجع السابق ص 15.

31) يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ط2، ص 32.

32) يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، ص33.

33) يقطين، سعيد، المرجع السابق 97.

34) الإبراهيم. مرجع سبق ذكره، صص287-284.

35) الإبراهيم. المرجع السابق، صص 292-296.

36) عباس، إحسان. أبو حيان التوحيدي، جامعة الخرطوم، ط2، 1980. ص 153-154.

37) متز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمّد عبد الهادي أبو ريدة. لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1940 ج 1، ص 395.

38) الإبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص ص131-133.

39) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مرجع سبق ذكره 2: 79.

المراجع:

الإبراهيم، ميساء سليمان، **البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة**،الهيئة السورية العامة للكتاب. وزارة الثقافة السورية، (2011).

بويون، جان. **الزمن والراوية**، ترجمة بكر عباس، دار صامد، بيروت، 1997م.

التوحيدي، أبو حيان، **الإمتاع والمؤانسة**. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية.(ب ت)

تومي، عبلة، فاطمة قواسمة، **أسلوبية الرواية: – أهل الحميدية لنجيب الكيلاني أنموذجا** –،جامعة العربي التبسي، (2016).

جيرار جنيت، **خطاب الحكاية: بحث في المنهج**، ترجمة مُحَمَّد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المركز القومي للترجمة، 1997 ط2.

الحمادي، مها هلال مُحَمَّد، **ظواهر أسلوبية في القصة الحديثة: مجموعة (زليخات يوسف) لعلي السباعي أنموذجا**. مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية: جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج 39، ع1، 2014م39 - 52.

حمداوي، جميل، **أسلوبية الرواية: مقاربة أسلوبية لرواية "جبل العلم" لأحمد المخلوفي**، (2016).

عباس، إحسان. **أبو حيان التوحيدي**، جامعة الخرطوم، ط2، 1980.

العجمي، مرسل فالح صالح، **الإمتاع والمؤانسة بلاغة السرد والتأويل**. مجلة رسالة المشرق: جامعة القاهرة – مركز الدراسات الشرقية، مج12، ع4،1، (2003) 349 - 400.

القرني، سعيد بنعبد الله بنعبد الله، **التنازع بين الكاتب والسارد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**. مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية: جامعة بيشة،ع6، (2020)، 213 - 247.

متز، آدم. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمّد عبد الهادي أبو ريدة. لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1940 ج

يقطين، سعيد، **السرد العربي: مفاهيم وتجليات**، بيروت: الدار العربية للعلوم والناشرون ش. م. ل، 2012م.

انفتاح النص الروائي: النص والسياق، بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ط2.

تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– والتبئير)، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،1997م ط3.

يقطين، سعيد، والحجري، إبراهيم، **حوار مع الناقد الدكتور سعيد يقطين**. الراوي: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج23، (2010). 7 – 16.

References:

Al-Ibrahim, Maysaa Suleiman, **The Narrative Structure in the Book of al-imtāwa al-muʾānasah**, Syrian General Book Authority. Syrian Ministry of Culture, (2011).

J.Pouillon. **Time and Roman**, translated by Bakr Abbas, Dar Samed, Beirut, 1997.

Al-Tawhidi, Abu Hayyan, **al-imtāwa al-muʾānasah**. Verified by Ahmed Amin and Ahmed Al-Zein, Beirut, Sidon: Modern Library. (n.d)

Tommy, Abla, Fatima Qawasma, **Stylistics of the Novel: - Najib Al-Kilani's People of Hamidiya as a Model** - Larbi Tebesi University, (2016).

G. Genette, **The Discourse of Narrative: A Study of the Method**, translated by Muhammad Mutasim, Abdul Jalil Al-Azdi, Omar Hali, National Center for Translation, 1997, 2nd edition.

Al-Hammadi, Maha Hilal Muhammad, **stylistic phenomena in the modern story: anthology (Zulaikhat Yusuf) by Ali Al-Sibai as an example.** Basra Research Journal for Human Sciences: University of Basra - College of Education for Human Sciences, Volume 39, Issue 1, 2014, Issues 39-52.

Hamdawi, Jamil, **Stylistics of the Novel: A stylistic approach to the novel** "**The Mountain of Knowledge" by Ahmed Makhloufi**, (2016).

Abbas, Ihsan. **Abu Hayyan Al-Tawhidi**, University of Khartoum, 2nd edition, 1980.

Al-Ajami, Mursal Faleh Saleh, **al-imtāwa al-muʾānasah, the eloquence of narrative and interpretation**. Risala Al-Mashreq Magazine: Cairo University - Center for Oriental Studies, Volume 12, No. 1, 4, (2003) 349 - 400.

Al-Qarni, Saeed bin Abdullah bin Abdullah, **The Conflict between the Writer and the Narrator in the Book of al-imtāwa al-muʾānasah by Abu Hayyan Al-Tawhidi.** Bisha University Journal of Humanities and Education: University of Bisha, No. 6, (2020), 213-247.

Metz, Adam. **Islamic civilization in the fourth century AH**, translated by Muhammad Abd al-Hadi Abu Raida. Authorship and Publishing Committee, Cairo, 1940

Yaqtin, Saeed, **Arabic Narration: Concepts and Manifestations**, Beirut: Arab House of Science and Publishers S.A.L., 2012.

The Openness of the Narrative Text: Text and Context, Beirut: Casablanca: Arab Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, 2001, 2nd edition.

Analysis of narrative discourse (time, narration, and focus), Beirut: Arab Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, 1997, 3rd edition.

Yaqtin, Saeed, and Al-Hajri, Ibrahim, **an interview with critic Dr. Saeed Yaqtin.** Al-Rawi: Literary and Cultural Club in Jeddah, Part 23, (2010). 7 - 16.